دور المقياسين الصّوتيّ والصّرفيّ في انتظام المعرّب في المعجم من خلال نماذج من الخطاب الإشهاريّ (*)

The role of phonological and morphological scale in the regularity of the lexicon, through models of advertising discourse

د. عواطف السمعلي الزواري
كليّة الآداب والفنون
والإنسانيّات منوبة تونس
البريد: awatefsamaali@yahoo.fr

ملخّص: يندرج بحثنا في إطار عامّ هو إطار تطوير مناهج اللّغة، ونهدف من خلاله إلى معالجة مسألة الاقتراض باعتباره قاعدة توليديّة لغويّة تعكس علاقة تأثير وتأثّر بين اللّغات، فتسهم بذلك في إثراء المعجم، إلاّ أنّ هذا الإثراء يجب ألاّ يُخْرِجَ اللّغة عن نظامها، ومن هنا رأينا أن ننظر في أنواع المقترضات، ومدى استجابة هذه المقترضات ذات البنى الصّرفيّة السّلسليّة للاندماج في نظام البنى الصّرفيّة غير السّلسليّة، وذلك من خلال المقياسين الصّوتيّ والصّرفيّ، وسنعتمد في تتبّع خصوصيّات هذه الظاهرة على نماذج من الخطاب الإشهاريّ باعتباره أهمّ مجالات تجديد الاستعمال اللّغويّ. وقد انتهينا من خلال هذه الورقة البحثيّة إلى جملة من النّتائج، نراها مسايرة إلى ما تهدف إليه البحوث المعجميّة المعاصرة، لعلّ أهمّها أنّ اندماج المقترضات يخضع لعمليّة نظاميّة تؤكّد انتظام المعجم، وتثبت الطّاقة الإبداعيّة، المتمثّلة في الحركيّة المنتظمة التي تحظى بها العربيّة.

الكلمات المفتاحية: المعجم – المقترضات - بنية صرفيّة سلسليّة – بنية صرفيّة غير سلسليّة – الاندماج – عمليّة نظاميّة – طاقة توليديّة.

* تاريخ تسلم البحث: 2020/02/16، تاريخ قبول البحث: 2020/07/07.

Abstract : Our research is included within the farme of developping language currucula. The purpose of this research was to treat the issue of borrowing as a generative linguistic rule, that reflects the relationship of influence among langages, thus contributing to enrich the lexicon, however this enrichment must not break the language's system. Hence we have seen that we look at types of borrowers, and the extent to which this borrowers with the system of chained morphological structures respond to integration into the system of non chained morphological structures, through the phonological scale and morphological scale. In tracking the peculiarities of this phenomenon, we will relly on examples from advertising discourse as the most important areas for renewing linguistic use. We have concluded through this research paper a set of results which we see as keeping pace with what contemporary lexical research aims. Perhaps the most important of which is that the merger of borrowers is subject to systemic process, that confirms the consistency of the lexicon, and proves the creative energy represented in the systematic movement enjoyed by the arabic.

Keywords : Lexicon – Borrowers - Chained morphological structure - Non chained morphological structures - Merger – Systematic process - Creative energy.

مقدّمة:

ننطلق في هذا البحث من رؤية وظيفيّة للّغة تفضي إلى علاقة تلازميّة بين اللّغة وحتميّة التّطوّر تلبية للحاجات التواصليّة، وأكثر أنظمة اللّغة تطوّرا وحركيّة وانفتاحا هو المعجم، والعربيّة - شأنها شأن سائر اللّغات - يواكب معجمها التّطوّر، لذلك يُعتبر توليد الوحدات المعجميّة ضرورةً تواصليّةً ملحّة، تمكّن الجماعة اللّغويّة من مواكبة التّجارب الكونيّة ومسايرة الواقع، فهي تعكس ما يحدث من مفاهيم وموجودات. وأصناف التوليد المعجميّ خمسة هي: التّوليد الصّوتيّ، والتّوليد الصّرفيّ، والتّوليد الدّلاليّ، والتّوليد بالارتجال، والتوليد بالاقتراض[1]، ولئن كانت الأصناف الأربعة الأولى تعتمد على وسائل من اللّغة ذاتها، فالتوليد بالاقتراض يقوم على ظهور وحدات معجميّة جديدة من لغات أخرى، عادة ما يكون المتكلّمون بها قد قطعوا أشواطا لا يستهان بها في درب الحضارة والرّقيّ والتقدّم. والاقتراض المعجميّ نوعان:

- اقتراض داخلي Emprunte interne وهو الاستعارة.
- اقتراض خارجيّ Emprunte externe أو اقتراض حقيقي، وهو الذي يعنينا في بحثنا هذا.
- فما هو الاقتراض الخارجيّ، وما هي تصنيفات المقترضات؟
- وماهي دوافعه في الخطاب الإعلاميّ عامّة والإشهاريّ خاصّة؟

- ثمّ ما مدى استجابة المقترَضات ذات البنى الصّرفيّة السّلسليّة -باعتبار أنّ أهمّ اللّغات المصادر هي الفرنسيّة والإنغليزية خاصّة وأخواتهما من العائلة الهنديّة الأوروبيّة- للاندماج في نظام البنى الصّرفيّة غير السلسليّة للّغات الساميّة ومنها العربيّة؟

1- في ماهية الاقتراض المعجميّ وتباين المواقف منه:

استنادا إلى النموذج الاجتماعيّ الذي يمثله جورج ماطوري George Matoré الداعي إلى ضرورة التعالق بين المعجم والمجتمع، يمكن أن نفسّر غزو المقترضات للمجتمعات الضعيفة المستهلكة، ذلك أنّ المجتمعاتِ الضعيفةَ تستورد الأشياء محمّلة بأسمائها من المجتمعات المتطوّرة، فتستقرّ تلك الأسماء المأخوذة من اللّغات المصادر في اللّغة المورد وتحتلّ حيّزا فيها، سواء كان الدافع إلى دخولها موضوعيّا متمثّلا في سدّ الخانات الفارغة في اللّغة المورد، أو عاطفيّا متمثلا في ميل المغلوب إلى الاقتداء بالغالب.

إنّ علاقة التأثير والتأثّر بين المجتمعات لابدّ أن توازيها علاقة تأثير وتأثّر بين لغات تلك المجتمعات أيضا، وهو ما يؤكّد البعد الاجتماعيّ للغة بصفة عامّة، والمعجم بصفة خاصة، ومن هنا يكون الاقتراض المعجميّ ظاهرة طبيعيّة كونيّة وضرورة ملحّة، يتأكّد من خلالها البعد الاجتماعيّ للّغة.

الاقتراض المعجمي إذن (يتحقق في النظام المعجميّ، ويتمثل في أخذ جماعة لغويّة وحدات معجميّة من لغة مصدر، وهذا النوع من الاقتراض هو كما أسلفنا أكثر أنواع الاقتراض تحققا لأنّ النظام المعجميّ ليس نظاما محافظا كسائر الأنظمة اللّغويّة)[2]. ورغم أهمية الاقتراض في إثراء اللّغة، فإنّ المواقف تتباين منه، حتى أنّ هناك من يدعو إلى اتقائه خوفا على العربية والعروبة والإسلام رغم أنّ (العلماء العرب القدامى كانوا يرون في الاقتراض ظاهرة طبيعية وما كانوا يرون فيه تهديدا للعروبة والإسلام)[3]. ونلمس في قرارات مجمع القاهرة في دورته الأولى حيطة من الأخذ بالاقتراض وتقييدا لاستعماله، فالقرار الأوّل يجيز (أن تستعمل بعض الألفاظ الأعجميّة – عند الضرورة – على طريقة العرب في تعريبهم)[4]. أمّا القرار الثاني فيؤكّد أنّه (يُفضّل اللّفظ العربيّ على المعرّب القديم إلاّ إذ اشتهر المُعَرَّبُ)[5]. أما القرار الثالث فيدعو إلى أن (يُنْطَق بالاسم المعرّب على الصورة التي نطقت بها العرب)[6].

2- تصنيف المقترضات المعجميّة:

تُصنّف المقترضاتُ إلى أربعة أصناف[7]، ورغم أننا سنقف عليها جميعا إلاّ أنّنا لن نفصّل القول إلاّ في صنف واحد منها، وهو الذي يعالج مدى قدرة المقترضات على الاندماج في نظام اللّغة المورد، وهي في بحثنا هذا العربيّة، ونُرجع هذا الانتقاء إلى أنّ مجال البحث لا يسمح بتعميق القول في أكثر من تصنيف واحد، كما أنّ البحث في مسألة الاندماج لصيق بالتّوليد وما يثيره نظام العربيّة، ببناها الصّرفيّة غير السلسليّة، من إشكاليّات، ونحن نسعى أن نثبت من خلاله انتظامَ الاقتراض، وعدم تهديده للغة الضاد مثلما يذهب إليه أنصار التّصوّر الفصاحيّ.

2-1- تصنيف المقترضات حسب الدلالات:

المقترضات هنا صنفان: الأوّل صنف المقترضات الدّالة على معان حقيقيّة، وهي تُستعمل في مجال العلوم خاصّة، وتُنقل من اللّغة المصدر إلى اللّغة المورد، حاملة لنفس الدّلالات التي وضعت لها. الثاني صنف المقترضات الدّالة على معان إيحائية.

2-2- التصنيف حسب مدى الحاجة إلى الوحدة المعجميّة المقترَضة:

المقترضات حسب هذا التّصنيف ضربان: ضروريّة وبذخيّة، أمّا الضرورية، فالدافع إليها هو الحاجة، إذ تدخل اللّغةَ لسدّ خانات فارغة، وأمّا البذخيّة فالدافع إليها عاطفيّ يقترن بميولات الفرد أو الجماعة اللّغويّة، لاستبدال مفردات اللّغة الأصليّة القائمة في الاستعمال، بمفردات أعجميّة تباهيا بمواكبة ركب الحضارة، فتزاحم المقترضاتُ المفرداتِ الأصليّةَ (ممّا يؤدّي إلى تعويض وحدات معجميّة في اللّغة المورد، بوحدات معجميّة من اللّغة المصدر، وهو ما اعتبرته كتب اللّحن خطرا يجب تجنّبه)[8]. والخطاب الإعلامي المعاصر وخاصّة الإشهاريّ منه، سواء كان مرئيّا أم مسموعا أم مكتوبا أم إلكترونيّا، هو أهم مجال للاستعمال البذخيّ للمقترضات، ونردّ ذلك إلى عدّة أسباب، منها سعي الإعلاميين إلى إيجاد موطئ قدم في ركب الحضارة، إضافة إلى خفة المقترضات وجريانها على الألسن، وبالتالي تيسير التواصل لتسويق المنتوج، ويكون هذا خاصّة في المجال الإشهاريّ، ومن أمثلة المقترضات البذخيّة نجد "ويك أند" بدل نهاية الأسبوع و"باج" بدل صفحة و"ميساج" بدل رسالة، وغير هذا من الأمثلة كثير.

نرى أنّ الاقتراض البذخيّ يتجاذبه طرفان، فلئن تمثّلت مزيته في تقديم بدائل استعماليّة تؤكّد علاقة المعجم بالخطاب لا باللّغة فقط، فإنّه قد يقود إلى تغريب لغويّ، خاصّة إذا كان حضوره إقصاءً

للمفردات الأصليّة الفصيحة، فتتعمّق الهوّة بين الناشئة وهويّتهم باعتبار اللّغة أهم مقوّماتها، ويتأكّد هذا الأمر، إذا ذكّرنا بالدّور التأثيريّ البالغ لوسائل الإعلام في المستمع. وهنا نرى أنّه من الواجب استعمال المفردات العربيّة، سواء القديمة أو التي استحدثتها المجامع اللغويّة، وإخراجها إلى الناس، ونشرها إذا تعلّق الأمر بالمقترضات البذخيّة.

2-3-التّصنيف حسب الانتماء المقوليّ:

لئن كانت المقولاتُ المعجميّة خمسا وهي: الاسم والفعل والصّفة والظّرف والأداة، فإنّ أغلب المقترضات تنتمي إلى مقولة الاسم، ذلك أنّ الجماعة اللّغويّة تقترض من المفردات ما تسمّي به ما لا ينتمي إلى واقعها اللّغويّ من أشياء، خاصّة إنّ عجزت الوسائل التوليديّة الذاتيّة للّغة عن سدّ كلّ الخانات الفارغة، إذ لا يمكنها مسايرة السّرعة التي تظهر بها الأشياء والمفاهيم الجديدة (خاصّة في اللّغات التي تغلب على أهلها الصّفويّة، وتعدّ غايات في حدّ ذاتها، وليست مجرّد وسائل للتبليغ ومنها العربيّة)[9]. لذلك يصبح الاقتراض في الأسماء مطّردا مقارنة بالاقتراض في الأفعال مثلا، ذلك أن الأفعال حاملة لدلالات عامّة، هي الأحداث والصّفات والحالات، ويعبّر عنها بما يتولّد عن اللّغة ذاتها من أبنية، على أنّ ما سبق لا ينفي وجود مقترضات فعليّة يمكن أن نقسمها إلى صنفين:

صنف أوّل، هو ذاته مقترَض، قد أُدخل اللّغة المورد، ومن أمثلته في الخطاب الإعلامي الإشهاري الذي تختلط فيه الفصحى بالعاميّة "كُونَكْتي"، مأخوذة من الأصل الاقتراضيّ الفرنسيّ Connecter بمعنى "أبحر عبر الشبكة العنكبوتيّة". و"فَبْرَكَ" مأخوذة من الأصل الاقتراضيّ الفرنسيّ Fabriquer بمعنى "صنع".

الصّنف الثاني من الأفعال المقترَضة مشتقّة من أسماء، هي ذاتها مقترَضات، قد وقع إدماجها في نظام اللّغة المورد، وهي في بحثنا هذا العربية كما سبق أن ذكرنا.

يُفهم ممّا سبق أنّ الاشتقاق لا يتمّ إلاّ بين مفردتين تنتميان إلى نفس اللّغة، يعني هذا أنّ صياغة أفعال مقترَضة، من أصول اسميّة مقترَضة، من أصول اقترَاضيّة أجنبية، يكون بتطبيق قاعدتين توليديتين هما: قاعدة الاقتراض أوّلا، ثمّ قاعدة الاشتقاق ثانيا[10]، ونمثّل لهذا الصنف من المقترضات الفعليّة بما يلي:

بَارَكِيري (فارسيّة) ←-------- بَرْنَامَجٌ ←-------- بَرْمَجَ

أصل اقتراضيّ فارسيّ قاعدة الاقتراض أصل مقترض عربيّ اسميّ

قاعدة الاشتقاق فعل مقترض

ونقترح أن نسميَ الصنف الأوّل من الأفعال المقترَضة أفعالا مقترَضة مباشرة، لأنها تُنقل مباشرة من اللّغة المصدر إلى اللّغة المورد، أمّا الصّنف الثّاني، فهو أفعال مقترَضة غير مباشرة، لأنها لا تدخل العربيّة إلاّ بعد اشتقاقها من أصل مقترض اسميّ عربيّ، هو بدوره مقترض من أصل اقتراضيّ أجنبيّ، ويدلّ هذا في رأينا على ما يتّسم به النّظام اللّغويّ في مستوى المعجم من قياسيّة وانتظام.

2-4-تصنيف المقترضات وفق مدى اندماجها في العربيّة:

(نقصد بالاندماج إلحام عنصر أو عناصر من لغة أجنبيّة في نظام اللّغة المتقبّلة، وهو يعني بصفة أدقّ إقامةَ شبكة من العلاقات بين الوحدة الدّخيلة وسائر وحدات النّظام المتقبّل، ويعني هذا كذلك معالجة تلك الوحدة معالجة تهدف إلى ملاءمة سماتها الأجنبيّة لخصائص النظام المتقبّل)[11].

وتختلف مقاييس الاندماج؛ فمنها ما هو صوتيّ، ومنها ما هو صرفيّ، ومنها ما هو دلاليّ، ومنها ما هو تصريفيّ، وجميع هذه المقاييس لها دور فعّال في أَقْلَمَةِ المقترضات مع نظام العربيّة، لكن هذه المقاييس تعمل بصفة متفاوتة، ويمكن أن نقسّمها إلى ضربين: الأوّل يتعلق بالمفردة، وهي خارجة عن السّياق التركيبيّ، ونقصد هنا المقياس الصوتيّ، والمقياس الصرفيّ، والمقياس الدّلاليّ، أما الثاني وهو المقياس التصريفيّ، فيتعلّق بالمفردة عند دخولها في السّياق التّركيبيّ.

وتمكّن هذه المقاييس من تصنيف المقترضاتِ إلى صنفين: معرب ودخيل، فإمّا أن تُعالَج الوحدة المعجميّة المقترضة معالجة تُلحقها بنظام اللّغة المورد، فتخضع لأبنيتها الصرفية خاصّة، ممّا يسمح لها بالاندراج في إطار شبكة من العلاقات الاختلافيّة والائتلافيّة مع بقيّة الوحدات الأخرى، ويُسمى هذا الصّنف من المقترضات مُعَرَّبا. أو أن يعسُر اندماج المفردة المقترضة، فتبقى محافظة على مظاهر عُجمتها، ويُسمى هذا الصّنف دَخِيلا، وبما أنّ مجال البحث لا يسمح بالنظر في جميع المقاييس المذكورة سابقا، فسنكتفي بالنظر في مقياسَيْ الأصوات والصّرف، باعتبارهما يكوّنان الوجه الدّالي للمفردة، خاصّة أنّ المقياس الصّرفيّ حاز قصب السّبق مقارنة بجميع المقاييس، ذلك أنّ المفردات في العربية وأخواتها الساميّات ذات بنى صرفيّة لا تخرج عن أوزان معلومة، وهي في هذا تخالف اللّغات المصادر. ولمعالجة هذه المسألة سنستند إلى أمثلة استقيناها من الخطاب الإعلاميّ عامّة، والاشهاريّ خاصّة،

فالإعلام سريع التفاعل مع كل مستحدث في العالم، وهو ذو دور تأثيريّ ريادي، ناهيك عن الخطاب الإشهاريّ الذي يهدف إلى تسويق السّلع والمنتوجات، وتقديم الخدمات، فتكون المقترضات أجرى في هذا الخطاب لقربها من الأذهان.

يُفهم ممّا تقدّم أنّ الخطاب الاعلاميّ هو أكثر الخطابات عرضة لغزو المقترضات، لهذا السبب اخترنا أن تكون الأمثلة التي نستند إليها فيما يلي من هذا البحث، مستقاة من الخطاب الإعلاميّ المتجدد بتجدّد ما يطرأ على الجماعة اللّغويّة، وما يفد عليها من تجارب، وسنبدأ بالنّظر في مقياس الاندماج الصّوتيّ أولا، ثم نعرض مقياس الاندماج الصّرفيّ.

2-4-1-مقياس اندماج المقترضات صوتيّا:

المكوّن الصوتيّ هو أحد مكوِّنَي الوجه الدّاليّ الشكليّ في المفردة، ويقوم على تتابع الصوامت، أي الحروف والصّوائت أي الحركات، (وليس الفارق بين لغة وأخرى في عدد الأصوات وصفاتها فحسب، بل كذلك فيما يسمح به كل نظام من متواليات صامتة أو ساكنة، وطرائق توزيعها للمقاطع الصّوتيّة)[12]. لذلك فاعتماد المقياس الصوتيّ لمعالجة المقترضات يقتضي النّظر في المستوى الصائتيّ، والمستوى الصامتيّ أيضا.

2-4-1-1-الاندماج في المستوى الصّائتيّ:

إنّ التباين في مستوى النظام الصّائتيّ العربيّ والنّظام الصّائتيّ في الفرنسية أو الأنغليزية يقتضي إخضاع الجهاز الصائتيّ للمقترضات إلى معالجة حتى يُدمج في النظام العربيّ، ذلك أنّ الصوائت في العربيّة محدودة العدد، فهي ثلاث حركات تتضاعف بتغيّر مداها، أمّا في الفرنسيّة فهي ستة عشر صائتا وفي الإنغليزية خمسة عشر صائتا[13]، منها الفتحة الطويلة المائلة (e)، والكسرة الوسطيّة ،(u) والضمّة المنفرجة ،(o) والحركات نصف المنفتحة ونصف المنغلقة، والحركات الخيشوميّة...[14]. جميعها لا تعرفها العربيّة. هذا التباين في المستوى الصائتيّ، يستدعي معالجة تمكّن من إخضاع البنية المقطعيّة للمقترضات إلى النّظام العربيّ، ومن نماذج هذه المعالجة نذكر:

أ- المعالجة على مستوى المدى الصائتيّ:

سعيا إلى ملاءمة الحركات الأعجميّة مع الجرس العربيّ يقع مدّ صوائت بعض المقترضات، ومثال ذلك:

- كاتالوق← (Catalogue) (ف)[15] عُولج صائت (a) الواقع بعد (c) و(T) بفتحة الطويلة، وعُولج صائت (0) الواقع بعد (l) بالضمّة الطويلة.
- ألبوم← (Albome) (ف)عُولج صائت (o) الواقع بعد (b) بضمّة طويلة.
- فارينة ← (Farine) (ف)عُولج صائتا (a) و(i) في المفردة الأعجميّة بحركتين عربيتين طويلتين هما على التوالي (L) و (ـي).

تبيّن الأمثلة السابقة أنّ الصوائت الأعجميّة (o) و(a) و(i) قد عُولجت جميعها بحركات عربية طويلة، إلاّ أنّ هذا الأمر ليس مطّردا، فقد تُعالج نفس الحركات الأعجمية بحركات عربية قصيرة، ومن الأمثلة على ذلك نذكر المثالين التاليين:

سَلَطَة← Salade (ف)

صلامي← Salami (ف)

نلاحظ أنّ صائت (a) الواقع بعد (s) و(l) في (salade) وبعد (s) في (salami) قد عُولج بحركة قصيرة خلافا لما رأينا سابقا، فقد عولج بحركة طويلة، ونحن نُرجع عدم الاطراد في معالجة المدى الصّائتي إلى عدّة أسباب أهمّها: نقص اندماج المقترض، أو السّعي إلى الحفاظ على الوزن العربيّ، إذا كانت المفردة الأعجميّة مقيسة صدفة على أحد الأوزان العربية مثل "سَلَطَة" على وزن فَعَلَةٌ". ويمكن أن نردّ ذلك أيضا إلى التّمييز بين مستويين لغويين هما الفصيح والعاميّ ومثال ذلك أنّ "سلَطَة" استعمال فصيح، أمّا "سْلاَطَة" فهي استعمال عاميّ.

ب- المعالجة بالابتداء بالمتحرّك:

إنّ "اللّسان [العربيّ] لا ينطق بالساكن من الحروف، فيحتاج إلى ألف الوصل"[16]. نزوعا إلى إدماج المقترض في النّظام اللّغويّ العربيّ، تُعالج المُتتاليات الصامتيّة في بداية المفردة الأعجميّة بإسباقها بهمزة وصليّة، ومن الأمثلة على ما تقدّم نذكر:

- استراتجيّة← (Stratégie) (ف) (أنغ)[17](Strategy): صُدّرت المفردة الأعجميّة بثلاثة صوامت، لذلك عولجت بإسباق هذه الصوامت بهمزة وصليّة استجابة لخصائص النّظام اللّغويّ في العربيّة.

في المقابل نرى أنّ في غياب الهمزة الوصليّة، وابتداء المفردة المقترضة بساكن، مخالفةً لنظام اللّسان العربيّ، وهو ما يدلّ على عدم اندماج المفردة، لذلك نعدُّها من صنف الدّخيل لا المعرّب، ومثال ذلك:

- بْروفيسور← Professeur (ف)

ج- المعالجة بتخفيف البنية المقطعيّة

(إنّ سعي مستعمل اللّغة إلى تحقيق مجهود أدنى عند النّطق هو الاتجاه الذي انبنت عليه اللّغة وأقرّ جلّ اللّغويين قديما وحديثا صحّته)[18]. هذا المبدأ اللّغويّ العامّ هو الذي يفسّر السّعي إلى تخفيف البنية المقطعيّة في بعض المقترضات ومثال ذلك " ديبلوم"← Diplôme (ف).

إن تكسين الحرف الأخير في "ديبلوم" نتج عنه تخفيف للبنية المقطعيّة من ثلاثة مقاطع إلى مقطعين، الأوّل مقطع منفتح طويل والثاني مقطع منغلق، ويكتسب الأمر مشروعيّة أكبر، خاصّة إذا علمنا أنّ تسكين الحرف الأخير قد ورد بعد مقطع طويل، وهو مُجازٌ في النّظام اللّغويّ العربيّ.

2-4-1-2-الاندماج في مستوى الصّوامت:

رغم أنّ كلّ المقترضات تُعَدّ معرّبة صوتيّا وخاصّة في المستوى الصامتيّ، فإنّ الإبدال كما يرى القدماء لازم في أصوات الوحدات المعجميّة الأعجميّة المقترَضة وخاصّة في ما ليس له مقابل في اللغة المقترِضة. لذلك سنقف في المعالجة الاندماجيّة الصامتيّة على عدّة مظاهر منها:

أ- نظام الاستبدالات الثنائيّة

لئن وُجدت بدائل عربيّة لجلّ الصوامت الأعجميّة، فبعض هذه الصوامت تختلف في قوّة النّطق وضغط النّفس، ممّا يستوجب ملاءمة الحرف العربي معها في النطق، ومثال ذلك:

جافال← Javel (ف)

إنّ عدم وجود بديل عربيّ لـ(v) استدعى أقلمته مع الحرف الأقرب وهو الفاء.

ب-تبرير الانزياح عن المعالجة بنظام الاستبدالات الثنائيّة

سمّى سيبويه ظاهرة الانزياح عن المعالجة بنظام الاستبدالات الثنائيّة بـ(ما لا يُطّرد فيه البدل)[19]. ذلك أنّه قد يُستبدل الصّامت الأعجميّ بالصّامت العربيّ الأقرب، ونرجع ذلك إلى بعض الظواهر التعامليّة منها ميل العرب إلى الحروف الطلقة الضخمة الجرس كالعين والقاف[20] ومثال ذلك:

- ديمقراطيّة ← Démocratie (ف)

في المثال السّابق استبدلت الكاف التي تقابل (c) بالقاف نزوعا إلى إدراج المفردة في النّظام اللغويّ العربيّ باعتبار أنّ القاف حرفٌ طلق ضخم، كما سبق أن ذكرنا.

مواصلة لمعالجة ما لا "يطّرد فيه البدل" نجد أن العرب يميلون إلى سهولة النّطق وهم في هذا مثل غيرهم أميل إلى المجهود الأدنى، لذلك تكثر في المفردات العربيّة الحروف الذّلْق وهي (الراء واللام والنون) والحروف الشفويّة وهي (فاء والباء والميم)، واستنادا إلى هذا المبدإ يمكن أن نفسّر تعويض (v) في Savon (ف) بالباء في صابون.

صابون← Savon (ف)

ذلك أنّ (V) ليست له مقابلٌ مباشرٌ في العربيّة، واستبداله يتطلّب ملاءمته مع الحرف الأقرب وهو الفاء، وبما أنّ الباء هو أقرب حرف إلى الفاء من حيث المخرجُ، كما أنّ الباء شفويّ أي من الحروف التي يسهل النطق بها لذلك أمكن استبدال الصامت الأعجمي (V) بصامت الباء.

نفس التحليل يمكن أن نطبّقه على المثال التّالي:

كاتالوق← Katalogue (ف).

فقد استبدلت (gue) في المفردة الأعجميّة بالقاف، لأنّ (gue) لا تتلاءم مع البنية الصّوتيّة العربيّة، كما أنّ القاف من الحروف الطّلقة الضّخمة التي يميل العرب إلى جريانها على لسانهم خاصّة أن الكلمة رباعيّةٌ (إذ لا تخلو مفردة عربيّة صرف رباعيّة أو خماسيّة من حرف واحد أو أكثر، من الحروف الذّلق أو الشفويّة)[21].

ج- المعالجة بتفخيم الصّوت:

التفخيم هو تغليظ الحرف عند النطق به وتصعيده إلى أعلى الحنك، وهو عند ابن منظور في لسان العرب ضدّ الإمالة[22]. وهو ظاهرة لازمة مع صوامت الإطباق (ص، ض، ط، ظ)، كما أنّه (مظهر صوتيّ ممتاز في العربيّة لا نجده في اللّغات الأعجميّة)[23]. لذلك يُعتبر التفخيم مظهرا إدماجيّا للمفردة المقترضة في النّظام الصوتيّ للّغة العربيّة ومن أمثلة هذا نذكر:

باص ← Bus (تفخيم (b) ((s)) (أنغ)

صابون ← Savon (تفخيم ((s)) (ف)

بطاريّة ← Batterie (تفخيم ((t)) (ف)

د- إبدال أحد الصوامت بالضاد

يقول الخليل (ليس في شيء من الألسن ضاء غير العربيّة)[24]. تتميز العربية بحرف لا يوجد إلاّ فيها هو الضاد حتى أنها سُمّيت به لذلك يُعتبَر استبدال الحرف الأعجميّ -رغم وجود مقابل عربيّ له- بـ"ضاد" مظهرا جليّا للمعالجة الإدماجيّة ومثال ذلك:

موضة← Mode (ف)

2-4-2-مقياس اندماج المقترضات صرفيّا:

يعتبر المقياس الصّرفيّ أهمّ مقاييس اندماج الأعجميّ في العربيّ، خاصّة أنّ البُنى الصّرفيّة للمفردات العربيّة وأخواتها السّاميّات مخالفة للبُنى الصّرفيّة للمفردات الأعجميّة، ذلك أنّ العربيّة لا يخرج التكوّن الصرفيّ في مفرداتها عن أوزان صرفية معلومة مما يجعل تحوّلها داخليّا وبناها الصّرفيّة غير سَلْسَلِيّة Structures morphologiques non concaténatives ، أمّا اللغات المقرِضة وهي الفرنسيّة والإنغليزية في هذا البحث، فهي من اللّغات الهنديّة الأوروبيّة التي لا يخضع التكوّن الصرفيّ لمفرداتها إلى أوزان صرفيّة مما يجعل تحوّلها خارجيّا وبناها الصّرفيّة سَلسَلِيَّة Structures morphologiques concaténatives.

وننظر من خلال مقياس الاندماج الصّرفيّ في ثلاثة مستويات دنيا هي: الاندماج على مستوى الوزن، والاندماج على مستوى اللّواحق، والاندماج على مستوى تبسيط البنية الصّرفيّة المركّبة.

أ- الاندماج على مستوى الوزن

إنّ النّظر في المقترضات المُدمجة في النّظام الصّرفيّ العربيّ بإخضاعها إلى أحد الأوزان العربية يقودنا إلى تقسيمها إلى ضربين: الأوّل هو ما وافقت بنيته الصّرفيّة وزنا من الأوزان العربية على وجه الصّدفة، ودون تدخّل ولا معالجة، أمّا الضّرب الثاني فهو الذي يخضع إلى المعالجة حتى يُلحق بأحد الأوزان العربيّة ويصير معرّبا، ومن أمثلة ما وجدنا في النوع الأوّل نذكر:

صالون (فَاعُول)← Salon (ف)

لايت (فَاعِل) ← Lite (أنغ)

صابون (فَاعُول) ← Savon (ف)

فيش (فِعْل) ← Fish (أنغ)

جافال (فَاعَال) ← Javel[25] (ف)

ومن أمثلة الضّرب الثاني الذي يخضع لتغييرات حتى يلحق بوزن ما نذكر:

- كارطة ← carte : أصبحت على وزن "فَاعِلَة" بعد أن خضعت لتغييرات تمثلت في تحريك الراء وتعويض صائت (e) بالفتحة.
- مكياج ← Maquillage (ف): أصبحت على وزن "مِفْعَال" في بعض اللّجهات التونسيّة بعد أن خضعت لتغييرات تمثلت في قلب فتحة الحرف الأوّل كسرة، وما يجيز هذا التغيير هو أنّ "مِفْعَال" وزن لاسم الآلة و"المكياج" هو مجموعة أدوات تستخدم للزينة، ناهيك عن أنّ هذا التحويل قد جرى على ألسنة العامة التي تُعرف بالميل إلى المجهود الأدنى بطبيعتها (فالصّيغ الدّارجة تكون عادة أشدّ اندماجا من غيرها لعفويّة النّطق الدّارج الذي يكاد يكون لا شعوريّا) (26).

ب- الاندماج في مستوى اللّواحق

تكون البنى الصّرفيّة لبعض المفردات المقترضة مركّبة داخليّا أي مكوّنة من جذع مع سوابق أو لواحق أو سوابق ولواحق معا. ومن اللّواحق الأجنبيّة ما عُرّب فصارت المفردة أكثر قابليّة للاندماج في النظام اللغويّ العربيّ. ومن أمثلة اللّواحق المعرّبة نذكر:

- ie ← يّة
- في مثل "بطاريّة"← Batterie (ف)
- ia ← يا
- في مثل "تونيزيا"← Tunisia (ف)

ج- الاندماج في مستوى تبسيط البنية الصرفيّة الخارجية المركبة للمقترضات

تُسمى البنيةُ الصرفيةُ الخارجية للوحدة المعجميّة مركبةً، إذا تكونت من مفردتين أو أكثر أمّا إذا تكوّنت من مفردة واحدة فالبنية الصّرفيّة تُسمّى بسيطة، ويُعدّ تبسيط البنية الصّرفيّة الخارجيّة المركبة للمقترضات نزوعا إلى إدماجها في النّظام اللّغوي العربيّ، وحَدًّا من عُجمتها، ومن الأمثلة على ما ذكرنا نورد ما يلي:

- ميكروأوند ← Micro-ondes (ف)
- كاشمايو ← Cache maillot (ف)

خاتمة :

ننتهي من خلال هذا العمل إلى جملة من النّتائج نجملها في ما يلي:

- الاقتراض هو قاعدة توليديّة لغويّة كونيّة طبيعية والعربيّة مثلها مثل جميع اللّغات تؤثّر وتتأثّر، لذا فلا خوف على لغة الضاد ولا على العروبة من هذه القاعدة، بل الخوف كلّه أن تنعزل لغتنا عن بقيّة اللّغات وتنأى عن ركب الحضارة فتبيد.
- لئن تمثّلت مزيّة الاقتراض البذخيّ في توفير البدائل الاستعماليّة -باعتبار أنّ المعجم لا يتّصل باللّغة فقط بل بالخطاب أيضا- فهذه البدائل يجب ألاّ تحجب الاستعمالاتِ الأصليّةَ للغة وتلغيها.
- المقترضات معربة ودخيلة، ولئن كانت الدّخيلة قد حافظت على مظاهر عجمتها فالمعرّبة قد خضعت في أغلب الحالات إلى تغييرات، ويُمَكِّنُ رصدُ الاطّراد في التغييرات من صياغة قوانين لتعريب المقترضات، ويعني هذا أن المعرّب يخضع لعمليّة نظاميّة قياسيّة مقيّدة تقييدا صارما تؤكّد انتظام المعجم وتحفظ النّظام اللّغويّ العربيّ.

للعربيّة طاقة إبداعيّة تكمن في قدرتها على التطوّر في ظلّ المحافظة على نظامها.

---

[1] - لمزيد التّعمّق ينظر: Guibert; Louis: La créativité lexicale, Larousse; Paris ;1975

[2] - فتحي الجميل: المقترضات المعجميّة في القرآن، منشورات كليّة الآداب والفنون والإنسانيّات، 2013، ص: 43.

[3] - إبراهيم بن مراد: مسائل في المعجم، دار الغرب الإسلامي، بيروت،1997، ص: 63.

[4] - مجمع اللّغة العربيّة بالقاهرة: مجموعة القرارات العلميّة، ص: 83.

[5] - المرجع نفسه، ص: 84.

[6] - المرجع نفسه، ص: 85.

[7] - نعتمد في هذا التّصنيف على ما ذهب إليه إبراهيم بن مراد في نصّ درس مخطوط قدّم لفائدة طلبة السّنة الرّابعة خلال السنة الجامعيّة 1996-1997.

[8] - المرجع نفسه.

[9] - المرجع نفسه.

[10] - لمزيد التّعمّق ينظر عواطف السّمعلي الزواري: دور المكوّن الصّرفيّ في انتظام المعجم، مجمع الأطرش للكتاب المختصّ، تونس، 2019، ص ص: 128- 130.

[11] - الطيّب البكوش: إشكالية اندماج الدّخيل في المعجم، مجلّة المعجمية العدد 3، (1987)، ص: 41.

[12] - الحبيب النّصراوي: التوليد اللغوي، عالم الكتاب الحديث، الأردن ،2010، ص: 368.

[13] - لمزيد التّعمّق ينظر الطيّب البكوش: إشكالية اندماج الدّخيل في المعجم، مجلّة المعجمية، العدد 3، (1987)، ص ص: 162- 163.

[14] -Gleason: Introduction à la linguistique générale, Larousse; Paris; 1969, p260.

[15] -(ف) نرمز بها إلى فرنسية.

[16] - الخليل: العين، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السّمرّائي، بيروت، 1983، 35/1.

[17] - (أنغ) نرمز بها إلى الأنغليزيّة.

[18] - عواطف السمعلي الزواري: دور المكوّن الصّرفيّ في انتظام المعجم، مجمع الأطرش للكتاب المختصّ، تونس، 2019، ص: 364.

[19] - سيبويه: الكتاب، تحقيق عبد السّلام هارون، ط 2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 306/4.

[20] - الخليل: العين، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السّمرّائي، بيروت، 1983، 38/1.

[21] - إبراهيم بن مراد: مسائل في المعجم، دار الغرب الاسلامي، بيروت،1997، ص: 19.

[22] - ابن منظور: لسان العرب، تحقيق يوسف الخياط - ونديم مرعشلي، دار لسان العرب، بيروت، 1970، 1064/4.

[23] - الحبيب النّصراوي: التّوليد اللّغويّ، عالم الكتاب الحديث، الأردن، 2010، ص: 372.

[24] - الخليل: العين، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السّمرّائي، بيروت، 1983، 1 /38.

[25] - فَاعَال هو وزن من أوزان الاسم الثلاثي المجرّد المزيد بحرفين نحو هامان وهو قليل.

[26] - الطّيّب البكوش: إشكاليّة اندماج الدّخيل، مجلّ المعجميّة، العدد 3، (1987)، ص: 42.

قائمة المصادر العربيّة:

1) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين (630هـ/1232م): لسان العرب، تحقيق يوسف الخياط - ونديم مرعشلي، دار لسان العرب، بيروت، 1970، (ج3).
2) الفراهيدي، الخليل بن أحمد: العين، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السّمرّائي، بيروت، 1983.

قائمة المراجع العربيّة:

3) ابن مراد، إبراهيم: مسائل في المعجم، دار الغرب الإسلامي، بيروت،1997.
4) ----------الاقتراض المعجميّ، نصّ درس مخطوط قدم خلال السنة الجامعيّ 1998/1997.
5) البكوش، الطّيّب: إشكاليّات اندماج الدّخيل في المعجم، مجلة المعجميّ، العدد 3، (1987).
6) الجميل فتحي: المقترضات المعجميّة في القرآن، منشورات كليّة الآداب والفنون والإنسانيّات، 2013.
7) السمعلي الزواري، عواطف: دور المكوّن الصّرفيّ في انتظام المعجم، مجمع الأطرش للكتاب المختصّ، 2019.
8) سيبويه، أبو بشر عمر بن عثمان بن قنبر (180هـ/796م): الكتاب، تحقيق عبد السّلام هارون، ط 2، مكتبة الخانجي القاهرة، (ج5).
9) النّصراوي، الحبيب: التوليد اللّغويّ، عالم الكتاب الحديث، الأردن، 2010.

قائمة المراجع الأجنبيّة:

10) Guibert; Louis: La créativité lexicale; Larousse; Paris; 1975.
11) Gleason. H. A: Introduction à la linguistique générale; Larousse; Paris; 1969.